بـين قلعـة شـويخ ودميـة جليسـباي

بفضل القناة الرابعة البريطانية تمكنت من مشاهدة الكثير من الأفلام العربية المميزة، حيث كانت تقدم فيلماً أجنبياً كل أسبوع باللغات: الاسبانية والايطالية والفرنسية أو العربية.
من الأفلام التي حفرت في الذاكرة الفيلم الجزائري (القلعة) للمخرج الجزائري محمد شويخ الذي أنتجه عام ١٩٨٩. والذي يعد علامة مميزة للسينما الجزائرية التي قدمت الكثير من الأفلام الرائعة المتفوقة بموضوعها وإخراجها، ولما عرف عن المخرج من شاعرية وشجاعة في طرح موضوعات الساعة في الوطن العربي. فقد أنجز فيلمه بعناية فائقة وفي إطار متحرر من قوالب صناعة السينما ذات الهدف التجاري.

المخرج محمد شويخ

المخرج كريغ جليسباي

ابتسام يوسف الطاهر

تـدور أحـداث الفيلـم في قريـة صحراويـة جزائرية، ومـا القلعة إلا موقـع جغرافي يتشـكل الناس فيه مـن مجتمعين؛ مجتمع للرجال وآخر للنساء، هناك فاصل حاد بين الرجال والنساء، يدخل الرجال من باب بعيد عـن باب النساء. يقضي الرجال أوقاتهم في التسلية، بينما تنهمـك النسـاء في أعمـال المنـزل محجبـات بملابسهـن الطويلـة. عائلـة (سيـدي) تشـكل نموذجـاً لهذا المجتمع، ومرآة تعكس النمط الثقـافي والديني وعادات وتقاليد البلـد الـذي تعيشـه وتظهـر كل التناقضـات حيث العادات القديمة والتخلـف والقمـع في مواجهـة والحياة، رئيـس العائلة)سيدي) متزوج مـن ثلاث نسـاء، ويتأهب لجلـب الزوجة الرابعـة، التي يقع قـدور ابـن سيـدي بالتبنـي في حبهـا. فيكتشـف سيـدي (الوالد) الأمـر، ويضـرب قـدور بعنف، ثم يجـبر الشـاب علـى تنفيـذ قانون القبيلـة، ويعلـن عـن زواج قـدور مـن (حبيبتـه)، لكن الشـاب قدور يكتشـف أن العروس ليست سوى دمية، فتحطمـه الصدمـة، لاسيما وهـو يواجـه قسـوة المجتمـع الـذي يقابـل صدمتـه بالضحـك والسخريـة! فيشعـر باليأس ويرمي نفسـه مـن فـوق الصخور أمام أعين أهل القرية.

وقبـل أيام شاهدت فيلما من إنتاج هوليـوود (Lars and the Real Girl) –لارس والفتـاة الحقيقة– الـذي أنتـج في ٢٠٠٧، للمخـرج كريغ جليسباي Craig Gillespie ، الـذي حظـي باهتمام النقـاد ونال نجاحا كبيرا ورشح لعدة جوائز وحصد أرباحا كبيرة لم يتوقعها المنتج.

الفيلم كوميدي – دراما يدور حول لارس شاب رقيق ومؤدب، يعيش في كـراج بيـت أخيه المتـزوج من شابة ترعى لارس وتعطف عليه. لكـن لارس يتجنـب زيارتهم فهو يعـاني مرضـ الوهـم وخوفا من الاحتكاك أو ملامسة الناس. يلجأ لارس الى لبس أكثر مـن قميص وأكـثر من فانيلا لتجنـب ملامسة أحدهم لـه. لذا يعيـش منعزلا عن المجتمع في تلـك البلدة الصغيرة. بالرغـم مـن حضـوره الكنيسـة ومساعدته الآخرين وقت ما يلزم، إضافـة الى انـه موظـف وملتـزم بدوامـه. لكنـه لم يقـم أي صداقة أو زمالة مع أي من أقرانه، بالرغم مـن اهتمـام إحـدى الزميـلات به ومحاولاتها للتقرب منه. وبإيحاء من زميله يكتشف موقع الكتروني لبيـع دمى بحجـم الإنسـان اسمه (الفتـاة الحقيقيـة) والـذي يلجـأ لتسويـق تلك الدمـى، الى اختلاق قصـص عن حياة تلك الدمى، فهذه اجتماعية ومحبة للخير، والأخرى يتيمة توفي أهلها بحادث وتعاني مشـاكل نفسية.. الـخ، من قصص مختلقة يصدقها البعض من أمثال لارس.

يشـتري لارس دمية ثم يأتي فرحا ليبشـر أخيـه بحضـور صديقتـه (بيانكا) ويطلب من أخيه أن يفرغ غرفة لها لأنها معاقة بسبب وضعها النفسي، وليس من اللائق أن تنام في الكـراج! يفاجـأ الأخ وزوجته بأن تلك الصديقـة ليست إلا دمية. يحـاول أخيـه أن ينبهـه الى ذلـك لكن زوجتـه الحكيمـة تتعامل مع الموضـوع بـترو، فتتماشـى مـع لارس في تعاملـه مـع الدمية كما لو أنها (فتـاة حقيقية)، بل تسألها إذا أعجبهـا الأكل .. ويصحبونهـا معهم في رحلاتهم.

ثـم يحـاول الأخ أن يعتـذر لأخيه لارس عـن قسوتـه معـه سابقـا وأنانيتـه التـي جعلتـه يفرض علـى لارس أن يعيـش في الكراج، وهذا ما تسبب في عزلته ووضعه النفسـي الغريـب! ثـم يوافق على اقـتراح زوجته بعرض لارس على طبيـب نفساني ولكن بطريقة غير مباشرة لاتستفزه "صديقتك متعبة بعد ما مـر بها من متاعب فما رأيك نعرضهـا علـى طبيـب نفسـاني".

ملصق فيلم لارس والفتاة الحقيقية

فوافـق علـى مصاحبـة صديقتـه (الدمية) للطبيبـة، التي تطلب من الجميع أن يتعاملوا مع الدمية كما لو أنهـا حقيقية، لأن لارس مصاب بحالة (الوهم) وأي محاولة عكس ذلـك قد تعرضه لصدمـة ربما يفقد عقلـه بسببهـا. هكذا صـار كل من في البلدة يتطـوع لذلك بل صاروا يحيـون صديقـة لارس (الدمية) ويقدمون لها الـورد، حتى مدرّسة الأطفال تجعلها تقرأ القصص على الأطفـال، طبعا من خـلال تسجيل صوتي للقصص يرافق حضورها بـين الصغـار. فـكل واحـد منهم يعـترف أن في دواخله طفلا يظهر بـين الحـين والآخـر، ولـو بشكل سري، فلابد من تفهـم حالة لارس الذي مازال يعيش ذلك الطفل.

بقيـت زميلـة لارس تتقـرب منـه وتلجـأ لـه حـين يعاملهـا أحدهـم بقسوة. بلحظة نـرى لارس ينزع قفـازه للمـرة الأولى ويصافحها، فريـدة اقـرب للسرياليـة، حالـة مؤلمـة من التي يعانيهـا مجتمعنا، الـذي يتعامـل بقسـوة وجهـل وأنانيـة مـع كل مفـردات المحيط، مـن طبيعـة وناس حتـى المقربين منهـم.. فسيـدي يتبنـى اليتيـم قـدور، لا ليصبح ابنـا له وقد حرم هـو من نعمة أن يكـون له ابن، بل يستخدمه كخادم ينفذ كل ما يطلب منـه بلا مقابـل. وقسـوة المجتمع الذي ينوء تحت نير الفقر والجهل الـذي يجعلهـم يتعاملـون مع ذلك الشـاب كمـا لـو هـو مجنـون ثـم يدفعون به للهاوية، للانتحار.

هنـاك أكثر مـن عقدين مـن الزمن بـين قلعـة محمـد شويـخ ودميـة كريغ جليسباي، إضافة الى الفرق الشاسـع بـين صناعـة السينما في كلا العالمـين، لكنـي وجـدت أن كلاهمـا قـدم درسـا اجتماعيا، في الأول يديـن بشـكل سريالي مفعم بالصدمـة والحـزن، المجتمعـات المتخلفـة التـي قـد تدفـع الفـرد للجنـون أو المـوت خاصـة لو كان فقـيرا بلا عـزوة، أو أظهـر بعض الاختـلاف عمّا هو متعارف عليه!. والثـاني، الفيلـم الأمريكي،الـذي قـدم لنا معاناة سببهـا قسوة الأخ وأنانيتـه، في مجتمع يفترض فيه التباعـد العائلي كما هـو معروف عـن الغـرب، يعالج الأمـر بطريقة دراما– كوميديـة وبشـكل هـادئ وانسيابي وصبر بعيد عن صدمة المفاجـأة والتلاعـب بالأعصـاب وشدهـا كمـا هـو معـروف عـن أفـلام هوليوود. فالمخـرج أراد أن يعطـي درسـا اجتماعيا مـع متعة التفرج على فيلـم كوميدي؛ وآخر عـن قـوة التضامـن التي قـد تنقذ الفـرد وتكسبـه لمحيطهـا ليكـون أكثر عطـاء وأكثر فائـدة للجميع، (الواحد من أجـل الكل، والكل من أجل الواحد) .

عمل؟ لكن الإجابة كانـت بسيطة، تتعلق بزيارة الأقـارب. ومـاذا عن الطفلـة، مَـن الأب؟ تجيب خثنيتـا باعتداد وثقة، إنهـا من دون أب. وما أن تحصل على التأشـيرة، تقفل لتعود الى مقعدها جنب روبن. بعدهـا يأخذ الشريط منحى آخراً. وعبر تقاطع نظرات روبن مع (أناهي) تلك التي بادلته ببسمة طفولية ساحرة. نظرة حركت فيه عاطفة الأبـوة المفقودة، وكانـت فاتحة للتعرف الى شخصيتـه. هل لـك عائلة؟ تسألـه المسافرة خثنيتـا. الإجابـة كانـت حاسمة بـ (لا). ولكنه يعـترف بأبوتـه لطفل تركـه منذ ثمانيـة أعوام عندمـا كان في الخامسـة من عمـره. وعلى هذا المنـوال يتصاعـد البـوح تدريجيـاً في مشاهـد ولقطات الشريط اللاحقة، منها نظرة روبن الى خثنيتـا وهي نائمة، التي حركـت فيه أحاسيس كانـت قد غادرته منـذ فترة طويلـة. فيما جاءت الجلسة بمواجهة بحيرة على قارعة الطريق، ما يمنح أحساس جو العائلة السعيدة.

شخصيـات جيورجيلـي خاطفـة ببساطتها الباذخـة، مـا جعـل المشاهـد يصبـح جـزءاً من حبكتـه وهو علـى كرسيه، وعبر وضـع النهاية السعيـدة لأقـدار هذيـن المخلوقـين. في النهاية أوصل روبن المسافرة خثنيتا الى بيت أقربائها، وسـط استقبال حار وفرح بسلامة الأم وطفلتها تحـت شجـرة (السنـط) الوارفـة التـي ظللـت الجميع. فيما ينسحـب روبن بطيئاً من دون ان يتجـرأ بقـول ما يعتمـل بقلبه. بيد أنـه في آخر الأمر يأخذ وعـداً برؤية خثنيتا ولو على حياء. قـوة شريط (السنط) تكمـن، أيضاً، في تركيزه علـى (ثيمتـه) الأساسيـة، مـن دون الانجـرار وراء الحـوادث الثانويـة، وفق مـا درجت عليه أفـلام الطريق. عمـل سينمائـي متقشف، عرف مخرجه كيـف يوظف تقنيـات الصـورة، صور بطريقـة اللقطـة المقربـة والطويلـة، بنقل نص مـن عشريـن صفحـة في بلـوغ أفضـل تجليات جماليـات السينمـا. تلك التي استعـار مفرداتها مـن اشتغـالات الكبـار، في عالم غـدت الصورة معادله الرمزي وثقافته في آن.

شريط (لاس أكاسيا) للأرجنتيني بابلو جيورجيلي

حين تتكفل الكاميرا بترجمة خفقة القلب سينمائياً

فيصل عبد الله

لندن

سائق الشاحنة، الخمسيني العمر، الملتاذ بصمته ووحدته. والممتثل إلى شروط عمله بنقل جذوع الأشجـار الضخمـة مـن غابـات بارغـواي إلى الأرجنتـين مـن دون تبرم، يبوح بعـد ٨٥ دقيقة بما كان يخـاف البوح به. هكـذا، بروية، وتأن، يسـرد علينا الأرجنتيني بابلـو جيورجيلي في باكورته (لاسـ أكاسيا)(السنـط)، حكاية بطله روبـن (الممثـل جيرمـان دي سلفـا) وتحولاتـه الدراماتيكيـة. حكايـة مكتوبـة بلغـة سلسـة، تكفلـت الكاميـرا بترجمـة معانيهـا الجوانيـة الى نصـ سينمائي باهر، ما أقنـع لجنة تحكيم فقـرة أسبوع النقـاد، في مهرجـان كان الأخير، منحـه جائـزة الكاميـرا الذهبيـة باستحقـاق، ومثلهـا كرّمـه مهرجـان لنـدن السينمائـي لهذا العام بجائزة سوذرلانـد، تمنح عادة الى العمل الأول او الثـاني، لأصالـة وقوة نصـه عبّر عنه الأداء المحكـم لشخصياته، وبمـا يثير الإعجاب والثناء.

مباشـرة، ومـن لقطتـه الأولى، يقـدم المخـرج والكاتب وصاحب الحانـة جيورجيلي لمشاهده شخصياتـه الأساسيـة. وهـي الشابـة خثنيتـا (هيبي دوراتـي)، الحاملة لطفلتها ذات الثمانية شهـور، والمتعـثرة بحقائـب سفرهـا. بالمقابـل يقـف روبـن قـرب شاحنتـه، والغاية نقـل هذه المسافرة مـن قريتها الى العاصمـة الأرجنتينية بوينس آيرس، بعد أن رتبت الأخيرة شأنها مع شخص يمت بصلة إلى هـذا السائق الجلف، ما يثـير حفيظة روبن، ليس منظر الأم المرتبك، بل الطفلـة (أناهي)، ومدى قدرتـه على تحملها في سفرة طويلة. لكنه يقبل عن مضض نقل خثنيتا الى وجهتها الأخيرة، تاركاً إياها تدبّر أمرها من دون مساعدة. وعلى مـدار حوالي نصف الفيلم الأول لا ينبـس روبـن بكلمـة، سـوى سماعنـا لأصوات الشاحنات السالكة للطريق الخارجي، وحركاتـه المتذمرة وهـو يشرب (المتـا)، شراب مكوناته من الأعشاب والأقرب إلى الشاي.

–بتمهـل نتعـرف على خثنيتـا في نقطة الحدود البريـة. وذلـك عند سـؤال ضابـط الشرطة عن سبب زيارتهـا الأرجنتين. هل البحث عن فرصة

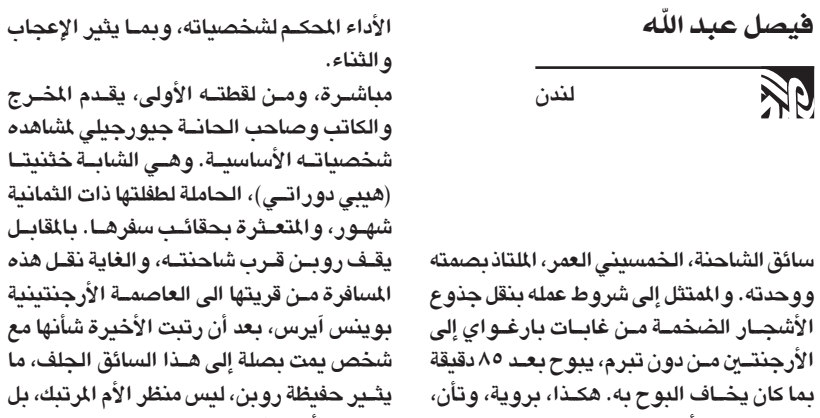

فيلم جديد، يسأل: أين برناديت؟

عباس المفرجي

كانت ناشطة راديكالية وداعية لحقوق النساء، من شمال أيرلندا، ومؤسسة (ديمقراطية الشعب) في الستينات.

سافـرت الى الولايـات المتحدة والتقـت الأمـين العـام لـلأمم المتحـدة، ومُنحـت مفاتيـح مدينة نيويـورك، التي سلمتها بدورهـا الى حـزب الفهـود السود، بعد عودتها حكم عليها بالسجـن ستة أشهـر لإسهامها في حركـة بوغسايـد. في عـام ١٩٨١، تعرّضـت هي وزوجها لمحاولة اغتيال، من قبل جماعة اولسـتر ديفنس، رغـم حماية الجيـش البريطـاني لمنزلهما. لكـن أكثر ما يتذكـر الناس عن برناديـت ديفلن، بأنهـا الشابة الأيرلنديـة الجمهوريـة مـن أولسـتر ، في عام ١٩٧٢، التي مشـت بخطـى واسعـة علـى أرضية مجلـس العموم لتوجه لكمـة الى وزيـر الداخليـة في حكومة المحافظـين. كان خطأه الجسيم هو إدّعاؤه أن الجيش البريطاني لم يطلق النار سوى للدفـاع عـن النفـس ، في يـوم (الأحـد الدامـي)، حـين رمـوا النـار على متظاهرين يطالبون بالحقـوق المدنيـة في أيرلنـدا الشمالية وقتلوا ١٣ منهم.

اليـوم ، وهـي في الرابعـة والسـتين، ظهـر فيلـم وثائقي جديـد عنهـا، (برناديـت : خواطـر عـن رحلـة سياسية). يعيـد الى الأضواء حياة امرأة ما زالت تحمل الرقـم القياسي كونهـا أصغر امـرأة بريطانية منتخبـة في البرلمـان. الفيلـم، الـذي استغـرق عملـه ١٠ سنـوات، يـدور حـول الهوى السياسي، الشجاعـة ، والعهد بين امرأتين ما زالتا ناشطتين. تعمل ديفلين اليـوم في منظمة تدافـع عـن حقـوق المهاجرين، والعجـزة، والأقليـات الأخرى أو المجموعـات الهامشيـة. دعمـت مخرجـة الفيلـم والناشطـة ليليـا دولان، ٧٧ عامـا، المشروع ماديـا بنفسها، بينمـا قدّم العاملـون الآخرون في الفيلـم بعضـ الخدمات بلا مقابل. والآن، الفيلم الذي حاز جائزة أفضـل فيلم وثائقي في مهرجـان غالـواي للأفلام، هو ضمـن قائمـة الأفـلام القليلـة المرشحة لجائزة غريرسون في لندن .

تقـول دولان ، كان الدافع وراء إنتاجهـا الفيلم هو أنها رأت أن دور ديفلـن كناشطـة لحقـوق الإنسـان وداعيـة رديكاليـة للمساواة بين الجنسين اختفى من تاريـخ أيرلندا: ((كانت في قلـب حركـة الحقـوق المدنيـة، واشتراكيـة جمهوريـة منـذ البداية، لكن حـين بدأت عملية السلام رأيت بونو يرسل هيوم ورمبـل، فتساءلـت، أيـن هـي برناديـت؟ بعـد ذلـك نظمنا لها حفلا في غالواي في عام ١٩٩٨ ، وسألتهـا إن كانت توافق على إنجاز فيلـم وثائقي، لا يتناول حياتهـا الخاصة بـل أفكارها ، فقبلت.))

((متمـردة، خطـرة ومثـيرة متاعب))، بهذه العبارات، كانت توصف يومـا. وأولئـك الذين يعرفـون دولان، يتحدثون عن امرأة استثنائية، إنما متصلبة. الإنجـازان اللـذان حققهمـا الفيلم، تقـول دولان، هما : إنه اكتمـل، والشيء الثاني، إنه قد يمنح الناس الشجاعة.))

■ عن: صحيفة الغارديان

كلاكيت

■ علاء المفرجي
ala.m@almadapaper.net

أسئلة السينما القلقة

بعـد أكثر من مئة عام على اختراعها تكتشف السينما في كل مرة كفـنّ خاصية تغني بها خطابها، ولعل من أبرز ما يقوم بـه هذا الفن هـو قدرته على إثارة الأسئلـة القلقة والمنسية، لتتجلـى أهميته في مقدرتـه الفائقة على التحـوّل من مجرد عرض فنـي تنحصر مهمتـه في الترفيه والتسليـة إلى أداة خطرة من أدوات الوعي والمعرفة.

فقـد تناولـت السينمـا قضية اختطـاف واغتيـال المعارض المغربـي مهدي بن بركة بعد أربعـين عاماً من وقوعها، وهي القضيـة التي أثـارت حينها الرأي العـام الفرنسي، للطريقة التـي تمت ولغموض دوافعها.. فأخبـار السينما تفيد ببدء المخـرج الفرنسي سيرج لوبيرون تصوير هـذا الفيلم الذي يحمل عنوان (لقد شاهدت مقتل بن بركة) وهو عنوان المقال الـذي نشره جـورج فيغـونٍ في صحيفـة (لكسبرسٍ) قبل أسبوع من العثور عليه ميتا في ظروف غامضة أيضا.

ولعـل نظرة متفحصة لمسعى السينمـا في هذا المجال، تؤكد نجاحها في الخوض بمثل هذه القضايا الشائكة، والإجابة على الكثير من الأسئلـة، باعتماد الوثائق واستنطاق شهود الحـدث، وكشف الحقائـق المسكوت عنها بفعـل التواطؤات والصفقـات غير المعلنة التـي يقف وراءهـا أصحاب النفوذ والقرار.

وإذا كان لابد من أن نتوقف عند هذا النوع من الأفلام، فيجب أن نشـير إلى فيلـم المخـرج الإيطـالي الكبـير فرانشيسكو روزي (قضيـة ماتي) بداية السبعينـات الذي يتناول قضية مصـرع (انريكو ماتـي) رئيس إحـدى الشـركات الإيطالية الكـبرى الذي تجرأ علـى خرق قوانين احتـكار اتحاد ملوك النفـط الذي تتزعمـه الاحتكارات الأميركيـة ليكون مصيره القتل خلال كارثة جوية غامضة لم تكشف حتى الآن.

وقـد لجـأ روزي في مسعـى إلقاء الضـوء علـى خفايا هذه القضيـة إلى تحليـل الوقائـع وإلى وصـف الشخصيـة للوصول إلى استنتاجات وتعميمات محددة تجعل الإمساك بخيـوط القضية أمراً متاحـاً.. فلم يكتف باعتمـاد التقصي الرسمـي لأسبـاب الكارثة الذي أجرتـه السلطات. بل اعتمد تقصيـه الخاص معيـداً خلق الوقائع والنبش في الوثائق، واستجـواب الشهود ليكشف المعنـى الحقيقي للحدث وكان أهـم مـا تضمنه مسعـى روزي في هـذه القضيـة هو كشف الكثـير من الحقائـق في حياة (ماتـي) التي توضـح الدافع لاغتياله.

ولم يبتعـد المخـرج الإيطـالي رينسـو مارتينيللـي عن هذا الموضـوع عندمـا تناول اغتيـال شخصيـة إيطاليـة أخرى هـي (الدو مورو) زعيـم الحزب المسيحـي الديمقراطي بعد اختطافـه في فيلم حمل عنـوان (ساحة الأقمـار الخمسة).. فبينمـا أشـارت تفاصيـل القضيـة إلى مسؤوليـة الألوية الحمـراء عن حادث الاغتيال، يذهب الفيلم إلى كشف حقائق جديدة في القضية تتعلق برغبة مورو في أن يمارس الحزب الشيوعـي الإيطـالي الـذي كان ثاني أكبر قـوة سياسية في البلـد، دوره في الإسهـام الفعلـي في معالجـة المشـكلات الاقتصاديـة المتفاقمـة، ممـا لم يـرق لمتشددي حزبـه مثلما لم يـرق لـلإدارة الأمريكيـة.. وهو ما قدمـه الفيلم من خلال الاتهـام المباشر للاستخبـارات الأميركية في عملية الاغتيال التـي نفذها مقاتلو الألوية الحمـراء وهي المفارقة التي عمد الفيلم الخوض فيها.

ويأتـي الفيلـم الفرنسـي عـن اغتيال بـن بركـة في المسعى ذاتـه خاصة بعد رفع الحكومة الفرنسـية السرية عن جميع الوثائـق المتعلقة بـ(بن بركة) ولتخوض السينما مرة أخرى في ملابسـات قضيـة مازالت بحاجـة إلى الكثير من الكشف بما تمتلكه من قدرة على الإقناع واعتمادها على إعادة صوغ الواقع وتقديمه مرئياً ومسموعاً.